برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (23)

السبت : 6 شوال 1438هـ / الموافق : 2017/7/1م

✤ لا زلنا في أجواء قصص بني إسرائيل، وهذه هي آخر قصّة من قصصهم في سورة الأعراف:

■ قوله {واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناهُ بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواهُ فمَثَلُهُ كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركهُ يلهث ذلك مَثَلُ القوم الذين كذّبوا بآياتنا فاقصصْ القَصَص لعلّهم يتفكّرون}.

الخطاب والحديث بنحو خاصّ عن الذين كذّبوا بآياتنا، أمّا بنحوٍ عام فالخطاب في الآية لنا جميعاً.. كُلّنا بحاجة لأن نتفكّر في هذه الدُنيا وفي تأريخها وأن نتدبّر في آيات الكتاب الكريم كما يقول سيّد الأوصياء (ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر) نحن بحاجة إلى تفهّم وتدبّر وتفكّر.

فالقرآن علْم وقِراءة وعبادة في نفس الوقت، حين نتواصل مع القرآن إنّنا نتواصل مع مصدرٍ علميّ هو في أعلى درجات العلم.. وإنّني أتحدّث عن علم يُوصل ما بين عالم الشهادة والغيب.. فالقرآن حين نتواصل معه نتواصل مع علم ومع قراءة، وفي نفس الوقت عبادة من أفضل أنواع العبادات.

● هم "صلوات الله عليهم" يُوجّهوننا ويأمروننا أن نعرف أمرهم من القرآن (من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن) سيعثرُ فيه ويضيع فيما بينها.

■ القصّة التي بين أيدينا قصّة شخصيّة معروفة في أجوائنا الثقافية الدينية.. قصّة (بلعم بن باعوراء) وهو من علماء بني إسرائيل الذين بلغوا مراتب عالية، وقد جاء في أحاديثنا أنّه بلغ إلى مرتبة الإسم الأعظم في علمه، وسمت روحه إلى الحدّ الذي كان مُستجاب الدعوة، فإذا ما دعا بدعوة فإنّ دعاءه يُستجاب.. ولكنّه سقط وهوى!

• العبرة أين؟ العِبرة مِن كلّ هذه الوقائع التي مرّت ومن هذه الواقعة في نقطة موجزة واحدة هي:

أنّ الجهة الكاملة التي لا خلل فيها سابقاً ولا لاحقاً، لا تماثلها جهة ولا تقاربها جهة ولا يُمكن أن تُقاس بها جهة هي الناحية المُقدّسة للحُجّة بن الحسن فقط.. نحن نجد نجاتنا في هذه الجهة فقط. كُلّ مَن ينتمي إليه بأيّ نحو من أنحاء الانتماء (انتماء صادق، كاذب، انتماء عقائدي، اجتماعي..) الناس أحرار في أن يختاروا أيّ لون من ألوان الانتماء وينسبوا أنفسهم إلى إمام زماننا، برغم كُلّ ذلك ليس هناك من طرف أو جهة لها من قيمة من حيث هي هي.. أي جهة ما دامت على ارتباط بإمام زماننا بالنحو الذي يُريده إمام زماننا جهة آمنة مأمونة وقيمتها عرضية لا تمتلك قيمة ذاتية.. القيمة الذاتية فقط لإمام زماننا "صلوات الله عليه" ولذا الجميع مُعرّضون للسقوط.

● {الذي آتيناه آياتنا} آياتنا في أعلى مراتبها: الآيات العظمى وهي تجلّيات الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي خلقه تعالى فاستقر في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره. والآيات العظمى هي مجالي ذلك الإسم، وكلّ الآيات التي تجلّت في الوجود هي في سلسلة الآيات العظمى، وعلى رأس السلسلة الآيات العظمى. فهذا "بلعم بن باعوراء" بلغ إلى علم الإسم الأعظم بحسب رُتبته.. علماً أنّ بلوغه إلى علم الإسم الأعظم لا يعني أنّه صار عالماً بحقيقة الإسم الأعظم، إنّما هي معارف وعلوم تتجلى من طبقة من طبقات سلسلة الآيات، فإنّ الأنبياء الذين هم أعلى رُتبة ومنزلة من بلعم بن باعوراء لن يصل علمهم إلى مشارف الآيات العظمى التي هي مجالي الإسم الأعظم، وإنّما يتجلّى ما يتجلّى للناس بقدرهم، بما هم عليه.. كما يقول سيّد الأوصياء: (القلوب أوعية فخيرها أوعاها - أي أكبرها-). التجلّيات لا حصر لها، وإنّما القلوب تغترف بحسب ما تستطيع أن تعيَ من هذا البحر الذي تسبح فيه الموجودات.. لكنه - أي بلعم بن باعوراء - بلغ ما بلغ بالقياس لغيره من أمثاله.

■ الحديث في قصّة بلعم بن باعوراء هو في أجواء محمّد وآل محمّد؛ لذا إمامنا الباقر عليه السلام يقول لسُليمان اللّبان في [بحار الأنوار: ج13]

(أتدري ما مثل المُغيرة بن سعيد قال: قلتُ لا. قال: مثله مثل بلعم الذي أوتي الإسم الأعظم، قال الله: {آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين}). الإمام هنا لا يُريد أن يقول أنّ المغيرة بن سعيد ممّن أُوتي علم الإسم الأعظم.. فالإمام قال (مَثَله) أي هناك وجهٌ للمُشابهة بينهما من جهة، ولم يقل: (مِثْله) وفارق بين التعبيرين.

• المغيرة بن سعيد من أصحاب الأئمة من أشياعهم، كان عالماً، عارفاً بآل محمّد، موالياً لهم، محبّاً شديد الحبّ لأهل البيت ولكنّه ضلّ وسقط وهوى! ■ لقطة تُعرّفنا بالمُغيرة بن سعيد:

المغيرة بن سعيد كان من أشياع آل محمّد العارفين المخلصين والمُحبّين، لكنّه سقط في متاهة السبأيّة! الانحراف الباطني بدأ منذ أيّام أمير المؤمنين على يد عبد الله بن سبأ. (السبأيّة تطوّرتْ فنشأت منها الخطّابية)!

المغيرة بن سعيد هو أيضاً أنشأ مجموعة كالمجموعة الخطّابية.. علماً أنّ أتباع المُغيرة بن سعيد هم في حقيقتهم خطّابية، ولكنّهم عُرفوا بالمُغيرية نسبة لكبيرهم: المُغيرة بن سعيد.. (السبأية، والخطّابية والمُغيرية..) كل هذه المجموعات تعود إلى جذر واحد شيطاني، ولكن الأئمة ركّزوا على "الخطّابية" لقباحة هؤلاء ولِقذارتهم، وإلّا فالمُغيريّة هم خطّابية أيضاً على نفس المنهج! المُغيرة بن سعيد وأصحابه كانوا من أكذب الكذّابين على الإمام الباقر والصادق، من هنا قال إمامنا الباقر لسُليمان أنّ مثل المغيرة مثل بلعم بن باعوراء.

■ وجه المُشابهة بين المغيرة بن سعيد وبين بلعم بن باعوراء:

• العلم (فكلاهما بلعم والمُغيرة عالم).

• الحبّ لأهل البيت (فكلاهما مُحبّ لأهل البيت، ولكن الإثنين سيطر عليهما الشيطان، وكلاهما عاقبته الخُسران)

• أباحوا المفاسد (بلعم أشاع المفاسد والزنا في بني إسرائيل، والمُغيرة بن سعيد وأبو الخطّاب أباحوا الزنا واللّواط والمفاسد كُلّها)!

■ أنا جئت بهذه الرواية لأفلت أنظاركم إلى مسألة مهمة:

• أولاً: أنّ قصّة بلعم تتكرر في كلّ زمان (في زماننا هذا، وما بعده..)

• وأردت أيضاً أن ألفت أنظاركم إلى أنّ المصدر الأصل لهذه الرواية هو [تفسير العيّاشي] ولكن الرواية في الطبعة الحديثة لتفسير العيّاشي فيها تحريف في اسم "المُغيرة".

(وقفة عند التحريف للرواية في تفسير العيّاشي والذي يكشف عن أنّ أتباع المُغيرة بن سعيد لازالوا موجودين بيننا!) وهو مثال على القول الذي أُردّده دائماً من أنّ كُتب الحديث تعرّضت للتحريف المُتعمّد وللتصحيف.

فحينما يُحدّثنا القرآن عن قصص بني إسرائيل أو عن قصص غيرهم فهو يُحدّثنا عن قصصنا وواقعنا.

■ بلعم بن باعوراء عالم من كبار علماء بني إسرائيل، كان مُستقيماً في أوّل أمره، لكنّه شيئاً فشيئاً مال إلى فرعون فهو من أتباع موسى، وكان يعيش في مصر حين كان الإسرائيليون في مصر، وعاش أيّام المواجهة بين موسى وفرعون ولكنّه مال إلى فرعون! لا نملك التفاصيل التي تُبيّن لنا سبب ميلهِ إلى فرعون ولكن قطعاً إنّها الدُنيا، والقرآن هنا يقول: أنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه. من خلال المُعطيات التي بين أيدينا، فإنّه لم يخرج مع قومه حين خرجوا، بقي في مصر. كان عالماً كبيراً وكان معروفاً عنه أنّ دعوته تُستجاب.. فلّما خرج موسى مع قومه وانتشر الخبر، وأراد فرعون أن يُجهّز الجيش كي يلحق بموسى ومن معه، طلب من بلعم - باعتبار أنه مُستجاب الدعوة - طلب منه أن يدعو على موسى! ولا معنى لهذا الأمر، ولكنّ فرعون يُريد أن يُري الناس أنّ بلعم هذا الذي يُقدّسه بني إسرائيل وعُرف عنه الصلاح سيدعو على موسى وهو مخالف لموسى وهذا يدلّ على أنّ موقف موسى لم يكن صحيحاً من وجهة النظر الدينية.

● أراد بلعم أن يخرج إلى جبل ليدعو - كي يرآه الناس - توجّه إلى حمارته كي يركبها فتمنّعت عليه حمارته واستعصت عليه، فبدأ يضربها، فأنطق الله تعالى حمارته فقالت له: ويلك، لماذا تضربني؟ أتريد منّي ن أخرج معك (أن تركبني) وأن أذهب بك إلى ذلك الجبل لتدعو على نبي الله وعلى المؤمنين الذين معه؟! فاستشاط غَضباً حتّى قتل حمارته.. فلمّا أراد أن يدعو على موسى النبي ومن معهم.. بعض الروايات تقول: كانت الكلمات تخرج منه دعاءً لموسى ومن معه ودُعاءً على فرعون وأتباعه.. وفي هذه اللّحظة انسلخت الآيات والمعارف منه وانقلبت حاله إلى الحضيض وإلى السقوط.. في هذه اللّحظة هوى بلعم بن باعوراء من حيث كان شامخاً في منزلة العلم والمعرفة والإيمان، فلقد مال إلى فرعون، وقد طمع في أن يكون لهُ من الدنيا ما يكون في جوار فرعون.

• تعبير القرآن دقيق، فهو يقول: {فانسلخ منها} هو الذي انسلخ من الآيات.. أمّا الآيات ثابتة ومُستقرّة، هو المُضطرب القلق.

• {فأتبعه الشيطان} يعني أنّ الشيطان جعله تابعاً له.. الناس تُقلّده وهو يُقلّد الشيطان.

• {فكان من الغاوين} أخذهم إلى جهة الغيّ.

● مثال لعالم كبير بلغ ما بلغ ثُمّ هوى، وبعد أن هوى صار تابعاً للشيطان والشيطان هو الذي يُوجهه ويقوده، وينطق على لسانه، مثلما يُحدّثنا أمير المؤمنين عن أصحاب الجمل، وعن الذين عادوا عليّاً وناصبوه العداء على طول التأريخ يقول: أنّ الشيطان باض وفرّخ في صُدورهم، ودبّ ودرج في حُجُورهم (أحضانهم)! نطق بألسنتهم، ونظر بأعينهم، (فمن أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإنْ كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وإنْ كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله) وما من ناطق ينطق عن الله غير عليّ، لِذا أرجعنا رسول الله يوم الغدير إلى عليّ، نأخذ تفسير القرآن وفهمهُ من عليّ.

● {ولو شئنا لرفعناه بها - بآياتنا-} هذه المشيئة الإلهية المُطلقة.. إنّنا حين نُريد أن نرتفع فإنّما نرتفع بهم، وحينما نُريد أن نتطهّر إنّنا نتطهّر بولايتهم.. هذه المضامين واضحة جدّاً في زياراتهم الشريفة.

● إذا ما ذهبنا نتتبّع الآيات.. على سبيل المثال في سورة النجم {ولقد رآه نزلةً أخرى* عند سدرة المُنتهى* عندها جنّة المأوى* إذ يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى* لقد رأى مِن آيات ربّه الكبرى}. إذا رجعنا إلى حديث العترة في معنى الآيات الكُبرى أو في معنى "الكُبَر" الحديث هنا عن فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.. من أعظم هذه الآيات العُظمى: فاطمة.

● {نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها} لابُدّ أنّه قد صدرتْ منه إساءة بنحوٍ من الأنحاء سبّبتْ انسلاخهُ منها.. هو مال إلى فرعون. الميزان هنا: فاطمة يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.. فهذه الآيات يرضى الله لِرضاها ويسخطُ لِسخطها، وبلعم حين مال إلى فرعون إنّه مال عن هذه الآيات.

حينما مال إلى أعداء هذه الآيات هو انسلخ من هذه الآيات فنحن نقرأ في الزيارة (من وصلكِ فقد وصل رسول الله، ومن قطعكِ فقد قطع رسول الله).

● {أخلد إلى الأرض} قلبه، باطنه ميّال إلى هذا التراب، يُريد أن يلتصق بهذه الدنيا وشؤوناتها.. ليس بالضرورة أن يلتصق بالدُنيا في وجهها الماديّ.. فالكبار من علماء الدين يبحثون عن الزعامة.. يزهدون في الدُنيا وفي مالها، ولا يعني هذا أنّهم لا يجمعون الأموال، هم يجمعون الأموال لكنّهم يزهدون في التنعّم بها، فلا يتنعّمون بما عندهم من الأموال حفاظاً على مناصبهم وزعاماتهم!

فالروايات تقول: هناك من يزهد في الدنيا لأجل الدنيا.. هم يبحثون عن لذّة الرئاسة الباطلة، فللرئاسة لذّة وزبارج وبهارج.. تلك الزبارج والبهارج قد تتجلّى في عرشٍ وفي تاج ذهبي، وفي كُرسي يُصنع من أثمن الأخشاب ويُزيّن بأغلى المجوهرات إلى بقية التفاصيل.

● {واتّبع هواه} بلعم بن باعوراء بقي إلى زمان يُوشع الذي كان وصيّاً لموسى بعد وفاته.. وحدثتْ حُروب وقد قادتْ زوجة موسى "الصفراء" وهي بنت شُعيب التي تزوّجها موسى حينما ذهب إلى بلاد شُعيب.. قادت الجيوش في حرب وصيّ موسى وهو يوشع! وحدثتْ حروب فيما بين يُوشع وبين جبابرة في ذلك الزمان، وأحد الجبابرة طلب مِن بلعم بن باعوراء أن يدعو على يُوشع مع أنّه انسلخ من الآيات، ولكن السُلطة بطبيعتها تنتفع من مظاهر رجال الدين ومن أسمائهم وألقابهم. فقال بلعم لهذا الجبّار: الدعاء لا ينفع هنا ولكن خذ بنصيحتي:

زيّنوا النساء وانشروا النساء الجميلة المُزيّنة في وسط أتباع يُوشع فإنّ الزنا سينتشر بينهم، فإذا ما انتشر الزنا حلّ الهلاك بهم.. وفعلاً فعلوا ذلك، وقد هلك الكثير من الإسرائيليين! مثلما نشر بلعم الزنا والمفاسد في أتباع يوشع الذي رُدّت له الشمس كما رُدّت لسيّد الأوصياء، كذلك نشر أبو الخطّاب ونشر المُغيرة بن سعيد الفواحش والزنا فيمن اتّبعه من أصحاب الأئمة.

● {فمَثَلُهُ كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركهُ يلهث} تعبير دقيق جداً.. لم يقل القرآن (مِثله) وإنّما قال (مَثَلَهُ) أيّ أنه أخذ صورة من الكلب! الصورة التي أخذها هي: أنّ الكلب دائماً في البرد، أو الحرّ، سواء كان مُتعباً أو مُرتاحاً، سواء هجمت عليه أو ضيّقت عليه، أو أنّك لم تعبأ به (أي تركته) فهو في كلّ أحواله يلهث، ويُحرّك لسانه.. فإنّ الكلب على حالة واحدة في جميع أحواله.. فالمُراد أنّ بلعم حاله حال الكلب، كذيل الكلب يبقى أعوج، لأنّه صار مشدوداً إلى هذا التراب، صار عابداً لهواه، وانسلخ من آياتنا.

● {ذلك مَثَلُ القوم الذين كذّبوا بآياتنا} هذا المثل لبلعم ولأمثاله.. وآياتنا هُم "صلوات الله عليهم" وما يتجلّى منهم على يد الأنبياء الذين هُم من أشياعهم، والأنبياء والأوصياء هم أيضاً من آياتهم "صلوات الله عليهم".

● {فاقصصْ القَصَص لعلّهم يتفكّرون} بيّن لهم الأمور، اضرب لهم الأمثلة، حدّثهم بالتأريخ لعلّهم يتفكّرون. (في الواقع العملي لا البلعميّون، ولا الخطّابيّون، ولا المُغيريّون، ولا السقيفيّون، ولا الجمليّون يتغيّرون!)

■ قولهِ {ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون* من يهد الله فهو المهتدي ومن يُضلل فأولئك هم الخاسرون} قطعاً الهداية في أوّل لأمر وفي آخره مردّها إلى الله تعالى.. ومرّت الآيات في الحمد على هدايته تعالى {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله} ولكن الهداية والضلالة يجريان بحسب قانون البداء، وقانون البداء في تطبيقاته هناك سنن التوفيق والخذلان.

صحيح أنّ هذهِ السُنن مردّها في أوّلها وفي آخرها بيد إمام زماننا، ولكن أسباباً تصدر منّا هي التي تُفعّل هذه القوانين في حياتنا.. وصحيح أنّ هذه القوانين يُمكن أن تتفعّل من دون أسباب صادرة منّا، ولكنّي أتحدّث عمّا يجري في غالب الأمر وفي واقع حياتنا بنحو دائم، فبسبب ما يصدر منّا تتفعّل قوانين التوفيق والخذلان في مسيرتنا.

● {من يهد الله فهو المهتدي...} يعني من جرى عليه قانون البداء في تطبيقات التوفيق والخذلان فحينما فُعّلتْ هذه القوانين في حقّه والنتيجة هي الضلال فهذا هو الخاسر الحقيقي، والرابح هو ذاك المُهتدي.

وليس الربح فيما نناله من الدُنيا وإن كُنّا نركض وراءها! لكنّ لحظة الصدق إذا حانت فإنّ الربح لن يكون إلّا في الهداية، والخسران لن يكون إلّا في الضلال! هذه المعاني ستتجلّى لنا في لحظة الصدق، ولحظة الصدق في أكمل معناها هي في مواجهة الموت.. هناك يصدق الإنسان مع نفسه، وهناك تصدقُ نفس الإنسان معه.

● {ساء مثلاً القوم الذين كذبوا} هذا هو المثل السيّء (الكلب اللّاهث) في كلّ أحواله سيبقى لاهثاً، وكذلك الذين كذّبوا بآياتنا سيبقون على لُهاثهم، وهو لهاثٌ وراء سراب! قد يجمعون ما يجمعون ممّا يُريدون من أيّ صنف من أصناف شؤونات الدنيا، ولكنّهم لن يتغيّروا (اللّهاث هو اللّهاث).. وهذه الأحوال السيّئة ستبقى هي هي، وإن تلمّسوا الحقائق فهم سيُشيحون بأنظارهم عنها حتّى لو سقطت الحقيقةُ في حُجورهم فإنّهم سيلوون عنق الحقيقة! هذا هو واقع الإنسان، إن لم ينله التوفيق.

● {وأنفسهم كانوا يظلمون} هُم في الحقيقة يظلمون أنفسهم، حتّى وإنْ صدر منهم الظُلم لغيرهم، فهذا الظُلم لِغيرهم سيعود عليهم.

كلّ هذه الحكايات وكلّ هذه الوقائع وكلّ هذه المُجريات من بداية سورة الأعراف بعد البسملة وإلى نهاية الآية 178 تجري في مجرى الربح والخسارة، مجرى الرُشد والغيّ، في مجرى الهداية والضلالة.. وبتعبير أوضح: ما بين محمّد وآل محمّد وما بين غيرهم على جميع المُستويات.

■ قوله {ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} هنا نبدأ فصلاً جديداً من فصول سورة الأعراف.

من هذه الآية إلى آخر آية من آيات سورة الأعراف هذه الآيات تتناول موضوعات مهمّة جدّاً ولكنّها تتحدّث عنها باقتضاب.

● {ذرأنا} خلقنا.. وقد يقول قائل: هل أنّ الله تعالى خلقهم من البداية لهذا الأمر؟

وأقول: الأمور تجري بأسبابها، والآية هنا تتحدّث عن عاقبة أمرهم، وهذا لا يعني أنّهم لم يكونوا قادرين على تغيير عواقبهم.. تغيير عاقبة الأمر يُمكن للإنسان أن يتحرّك باتّجاهه في جميع المراحل.

● {ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس} هؤلاء الذين هم من حصّة جهنّم هذه أوصافهم (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) والمُراد من القلوب قوّة الإدراك عند الإنسان إن كان ذلك على المُستوى العقلي أو القلبي.

● {لهم قلوب لا يفقهون بها} الفقه: إدراك الحقائق، وإدراك الحقائق إنّما يكون بقوّة الإدراك عند الإنسان التي تتجلّى تارةً في عقله وتتجلّى تارةً في قلبه. (مثال لتوضيح هذه النقطة).

● {ولهم أعين لا يبصرون بها} المراد أنّهم فقدوا العلاقة الصحيحة فيما بين ما يُبصرون وبين ما يحكم به إدراكهم.. فهؤلاء ليسوا مجانين.. هؤلاء عقولهم تشتغل، عيونهم تشتغل، وأسماعهم وقلوبهم تشتغل.. هؤلاء أناس لا مُشكلة عندهم ولكن الحقيقة تقول: {لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها} هؤلاء يمرّون بعملية انسلاخ ينسلخون عن الحقّ مثلما مرّ الكلام في قصّة بلعم. فطرة الإنسان هي المركز.. هذه الفطرة قد يُشوّش عليها، ولكن حين تقوم الحُجج وحين يقوم التوفيق فهذا التشويه يزول. هذه الفطرة إذا ما هُدم بناؤها التكويني فإنّها ستستلم الإشارات بشكل مغلوط وتُحلّل الإشارات بشكل مغلوط.

● {أولئك كالأنعام بل هم أضلّ} الأنعام: الحيوانات، وتُطلق على الخصوص (على الأبقار، الجاموس، الثيران، العجول، الأغنام، الخراف، الماعز، الخيول...) هي الحيوانات الأهلية.. والقرآن دقيق في تعابيره، فهو لم يقلْ: أولئك أنعام، وإنّما قال (كالأنعام) يعني هناك وجه مُشابهة بينهم وبين الأنعام.

الإنسان في مراحل خلقته يُشبه مراحل خلقة الحيوانات.. ولكنّه يختلف عن الحيوانات في منظومة الإدراك العالية التي يمتلكها. منظومة الإدراك الفائق عند الإنسان عالية جدّاً.. وعملية التعطيل لهذه المنظومة تبدأ حينما يُضرب البناء التكويني للفطرة، أو يُضرب البناء التكويني للعقل. أمّا القلب فالذي يضرب بناءه هو الاختلال في موازيين الولاية والبراءة! حينما لا يكون الإنسان عارفاً بموازيين الولاية والبراءة فإنّ الاختلال في بنية القلب سيقع، وتبدأ البُنية الصحيحة بالانهدام شيئاً فشيئاً.. لكنّ الناس في الغالب إمّا أنّ البناء التكويني في فِطَرهم هو المهدوم، أو أنّ البناء التكويني في عقولهم هو المهدوم. ● {أولئك هم الغافلون} ما يُقابل مجموعة الغافلين هم المُنتبهون اليقظون، وهؤلاء هم الذين خاطبتهم آخر آية من سورة آل عمران {يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا} اصبروا على دينكم، وصابروا عدّوكم، ورابطوا إمامكم كما ورد في الروايات.

■ {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه سيُجزون ما كانوا يعملون} هذه الآية من أهمّ آيات الكتاب الكريم. الأسماء الحُسنى مرّة نتحدّث عنها في عالم الألفاظ (في عالم الألفاظ هناك مجموعة اسمها مجموعة الـ99 اسم وهذه الأسماء الأصول، وإلّا فإنّ الأسماء الحُسنى لا تقف عند هذا الحدّ.. الأسماء الحُسنى لا عدّ لها ولا حصر، فدعاء الجوشن الكبير يشتمل على ألف اسم من الأسماء الحُسنى.. وفي بقيّة الأدعية أكثر من ذلك. (هذا الحديث عن الأسماء هو على المُستوى اللّفظي)

● أمّا الأسماء الحُسنى على مُستوى الحقيقة فلا علاقة لهذه الألفاظ بها، هذه الألفاظ مجرّد حروف وأصوات نحتاجها في المنظومة الكلامية وفي المنظومة الذهنية كإشارات ورموز لأجل التفهّم والتدبّر والتفكّر (كي نتعلّم).. هذه الألفاظ تُعتبر من تجلّيات تلك الأسماء

في مُستوى اللّغات والحروف والأصوات. ● الأسماء الحُسنى التي بين أظهرنا هم "صلواتُ الله عليهم" وهذه الأسماء الحُسنى جُماعها الكامل: الحجّة بن الحسن.. وكُلّ ما في الوجود (ما يُرى وما لا يُرى، ما يُدرك وما لا يُدرك) هو مِن تجلّيات الأسماء الحُسنى، والأسماء الحُسنى منبعها الأصل: الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجل الأكرم، بعبارة أخرى: الحقيقة المُحمّدية

● الذين يقصرون الأسماء الحسنى على الألفاظ هؤلاء هم الذين يصطلح عليهم القرآن المُلحدون.

الإلحاد اصطلاحاً في الكتاب الكريم يرتبط بأهل البيت، لا كمُصطلح الإلحاد المُتداول في الوسط الثقافي من أنّ الإلحاد هو إنكار الخالق.. الإلحاد في الكتاب الكريم هو إلحادٌ بمنازل آل محمّد "صلواتُ الله عليهم".

■ وقفة عند الآية 25 من سورة الحجّ ومعنى هذه الآية في [تفسير القمّي]

(في معنى قولهِ تعالى: {ومن يُرِد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم} قال: قال "عليه السلام": نزلتْ فيمَن يُلحد في أمير المؤمنين ويظلمه)

الإلحاد في القرآن وفي حديث العترة هو إلحادٌ في عليّ.. حذف الشهادة الثالثة من الأذان والإقامة ومن التشهّد الوسطي والأخير وكذلك حذف السلام على عليّ والأئمة في الصلاة هو من الإلحاد في عليّ.

■ رواية أخرى: (عن صادق العترة في قول الله عزّ وجل: {ومَن يُرد فيه بإلحادٍ بظلم} قال: نزلتْ فيهم حيثُ دخلوا الكعبة - حينما كتبوا الصحيفة المشؤومة - فتعاهدوا وتعاقدوا على كُفرهم وجُحودهم بما نزل في أمير المؤمنين، فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليّه فبُعداً للقوم الظالمين).

● {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون} الصلة فيما بيننا وبين الله أسماؤه الحُسنى التي نزلت في كتابه الكريم التي علّمنا إيّاها محمّد وآل محمّد.. وفي حقائق هذا العالم فأسماؤه الحسنى: محمّد وآل محمّد.. وفي عوالم الغَيب: هي الأنوار التي جعلها مُحدقةً بعرشه، وفي النهايات فإنّ مرّد الأسماء الحسنى إلى الإسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي خلقه فاستقرّ في ظِلّه فلا يخرج منه إلى غيره. فنحن نتّصل بالله سُبحانه وتعالى من خلال هذه الأسماء في كلّ مراتبها ومظاهرها، وإذا ما توجّهنا إلى الله توجّهنا إلى هذه الأسماء؛ لأنّنا نتمسّك بها، نتوسّل بها، نلجأ إليها.. لا يوجد عندنا جهة أخرى غيرها نتجّه إليها (أين وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء)

● {وذروا الذين يُلحدون في أسمائه - يحرفونها عن حقيقتها -} اتركوهم لا شأن لكم بهم، وهؤلاء المُلحدون هم الذين يعتقدون أنّ أسماء الله هي هذه الألفاظ، وهم الذين ألحدوا بظلم في حقّ علي في المسجد الحرام حين كتبوا الصحيفة، وهم الذين يُلحدون في آياتنا كما جاء في سُورة فُصلّت. الأسماء الحُسنى هم "صلوات الله عليهم".

✤ وقفة عند مجموعة من الروايات في [تفسير البرهان: ج3] في معنى قوله تعالى: {ولله الأسماء الحُسنى..}

(قال الصادق "عليه السلام": نحن والله الأسماء الحُسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا)

● عن الإمام الرضا (إذا نزلتْ بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ وهو قول الله: {ولله الأسماء الحُسنى فادعوه بها})

● (عن إمامنا الباقر، قال: سمعتُ جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: يا رسول الله، ما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ قال: ذاك نفسي، قلت: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال: هُما رُوحاي وفاطمة أُمهما ابنتي، يسوؤني ما ساءها ويسرّني ما سرّها، أشهدُ الله أنّي حربٌ لمَن حاربهم وسلْم لمَن سالمهم، يا جابر إذا أردتَ أن تدعو الله فيستجيب لك فادعه بأسمائهم، فإنّها أحبّ الأسماء إلى الله عزّ وجل)

● الرواية الأهم عن حنّان بن سدير، قال: (سألتُ أبا عبد الله عن العرش والكُرسي..) إلى أن قال: (فليس له شبه، ولا مثل، ولا عدل، وله الأسماء الحسنى التي لا يُسمّى بها غيره وهي التي وصفها الله في الكتاب فقال: فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه جهلاً بغير علم، فالذي يُلحد في أسمائه بغير علم يُشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظن أنه يُحسن، فلذلك قال: وما يُؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مُشركون، فهم الذين يُلحدون في أسمائه بغير علم، فيضعونها غير مواضعها). ثقوا أنّ تفاسير علمائنا كلّها وفقاً لهذا الذوق الأعوج، ذوق المُخالفين.

■ قوله {وممّن خلقنا أُمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون}.. الآية تتحدّث عن "شيعة عليّ" إنّها الفرقة الناجية في أحاديث أهل البيت، نحن الفرقة الناجية بشرط قبول إمام زماننا.. الفرقة الناجية هم الذين لا يُلحدون في الأسماء الحُسنى.. وفي بعض الروايات الإمام يقول: (أنا وشيعتي).. أمّا الذين يُلحدون في أسمائه تعالى فهؤلاء بحسب موازين أهل البيت فهم ليسوا من الفرقة الناجية، كما يقول إمام زماننا: (طلب المعارف من غير طريقنا أهل البيت مُساوقٌ لإنكارنا) نعم إذا نجا هؤلاء المُلحدون في أسمائه جهلاً بغير علم فذاك بلطف إمام زماننا الذي نتطلّع إليه كُلّنا.

● {يهدون بالحق} يهدون أنفسهم ويهدون غيرهم إن كانوا قادرين على ذلك.. وكلمة (الحقّ) عنوان لعلي في الكتاب الكريم، وإذا ما حكموا في أي أمر من الأمور فإنّهم يعدلون بالحقّ.. إنّه ميزان الأعمال، كما نُسلّم عليه في زيارته: (السلام عليك يا ميزان الأعمال).
{يهدون بالحق} يهدون أنفسهم، يهدون غيرهم، يهدون عقولهم حين يتمسّكون بعلي.. والتمسّك بعليّ تمسّك علمي معرفي بالدرجة الأولى قبل أن يكون عاطفياً. حبّ عليّ لوحده منجاة.. ولكن الشيعة يجب عليهم أن يعملوا.. فالعمل الصادق المُزكّى والمقبول عند إمام زماننا هو إنماءٌ لحبّ عليّ في القلوب. و(الحقّ) هو ولاية عليّ ولن يكون العدل والهداية في أي صفحة من صفحات الحياة إلّا بولاية عليّ.

■ {والذين كذّبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} القرآن من أوّله وآخره يُركّز على مسألة التكذيب بالآيات.. محمّد وآل محمّد هم الآيات وهم الميزان وهم القرآن، وهم البيان، وهم البرهان، وهم سُلطان الحقيقة وسُلطان الولاية وسُلطان كلّ شيء.
ومرّت علينا في وقائع بني إسرائيل نفس هذه المضامين والأحداث تترى وتتجلّى على طول سيرة موسى النبي.. ومرّ علينا من أنّ قوماً يهدون بالحقّ وبه يعدلون في بني إسرائيل أولئك الذين سيُخرجهم إمام زماننا من ظهر الكوفة.

■ {وأُملي لهم - أفسح لهم المجال - إنّ كيدي متين} هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا سيُطبّق في حقّهم قانون الإمهال والاستدراج.

● {سنستدرجهم} ندفعهم شيئاً فشيئاً إلى النهاية المُظلمة (والحقيقة هم الذين اختاروا طريقاً يقودهم إلى النهاية المُظلمة) سيُتركون والشيطان من ورائهم، لن نحميهم ولن نجعل العوارض أمامهم.

● من أحد وأبرز مصاديق التوفيق وجود العوارض في حياة الإنسان.. يُقدم الإنسان على عمل فيجد أمامه العوارض التي تحول بينه وبين ذلك الأمر.. هذه العوارض في كثير من الأحيان للمؤمن من علائم التوفيق وجزاءً لعمل صالح كان قد فعله، لأنّه لو وصل إلى مُراده فإنّ ذلك المُراد قد يأخذه بعيداً عن عليّ وآل علي. مصداق واضح من التوفيق أن يُمنع الإنسان من الوصول لمراده في بعض الأمور الدنيوية.. وليست المُشكلة في نفس المُراد، وإنّما المُشكلة في الساحة التي تُحيط بهذا الأمر.. ففي هذه الساحة توجد من الكمائن والمصائد قطعاً سيقع فيها، فمن هنا يُمنع من الوصول إلى مُراده الدنيوي هذا.. وهذا هو التوفيق (ولعلّ الذي أبطأ عنّي هو خيرٌ لي لعلمك بعاقبة الأمور..)

● {إنّ كيدي متين} كيد الله ومكر الله هي قوانينه الجارية في عباده وخلقه.. والحديث هنا الإشارة إلى عواقب ما سيجري على الإنسان بسبب كيد الرحمن.. متانة الكيد هنا في دقّة الكيد وخفائه وفي عدالته وفي صعوبة النتائج وما يؤول إليه أمر ذلك الكيد (إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك، ولا تمكر بي في حيلتك..). {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} هم يتهادون في سيرهم إلى الحفرة المُظلمة.

■ {أولم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة - أي جنون - إنْ هو إلّا نذير مُبين} التفكّر هو فكْر بعد فكْر بعد فكْر.. لماذا لم يقفوا ويتفكّروا في أحوالهم وفي هذا النذير المُبين؟
مثلما تأخذ الغرائز والطبائع المودعة في الأنعام تأخذ الأنعام في طريقها وتقود الأنعام إلى ما تتحرّك فيه وما تقوم به.. هؤلاء غرائزهم وطبائعهم عبث بها الشيطان وهم بأعمالهم عبثوا فيها، فتهدّم البناء الفطري والعقلي، لذلك ساروا في الطريق الذي أدّى بهم إلى تكذيب آياتنا.

• {أولم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة} والحديث هنا عن قريش، عن اليهود، عن الذين وصفوا النبي "صلّى الله عليه وآله" بالجنون.
• {نذير مبين} نذير واضح مُشخّص.. من خلال تأريخه الذي يعرفونه، من خلال مُواصفاته، ومواهبه وملكاته ومن خلال مسيرته فيما بينهم، ومن خلال منطقه وما يطرحه بينهم وما يدعوهم إليه.. كُلّ هذا يستلزم من الإنسان العاقل أن يتفكّر فيه، فإذا ما قام بذلك فإنّه سيهتدي إلى نقطة مُضيئة تقوده إلى نقطة أخرى. الخطوة الصحيحة الأولى تقود إلى خطوة أخرى صحيحة والعكس صحيح.

■ ومضة عند هذا التعبير القرآني {ما بصاحبهم من جنّة} والربط بينه وبين ما جاء في الآية 40 من سورة التوبة {إلّا تنصروه فقد نصره الله، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا..}
رسول الله صاحب لقريش، وصاحب لأبي بكر.. (هكذا تقول الآية في سورة التوبة.. والآية هنا في سورة الأعراف تقول: {ما بصاحبهم من جنّة} وهي تتحدّث عن الذين كذّبوا بآيات الله.. وفي سورة آل عمران آية 61 {فمَن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..}. كم هو الفارق في موازيين القرآن بين نفس الإنسان وصاحب الإنسان؟ وكم هو الفارق بين نفس محمّد وصاحب محمّد؟ صاحب محمّد في آية الغار كان حزيناً هو لا يعلم أنّ الله معهم، ولذلك قال له رسول الله: {لا تحزن إنّ الله معنا} فأنزل الله سكينته عليه - على رسول الله وحده وأيّده بجنود لم تروها. والسؤال هنا: هل كان حُزن أبي بكر طاعة أم معصية؟ إذا كان طاعة لماذا قال له رسول الله لا تحزن؟ وإذا كان معصية فكم هو الفارق بين شخص عاصي هكذا، وبين شخص يُقدّمه محمّد وسيلة إلى الله كما في آية المُباهلة؟!

■ {أولم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة إنْ هو إلّا نذير مبين} لو تفكّروا في شأن محمّد "صلّى الله عليه وآله" وصلوا إلى هذه النتيجة أنّ محمّداً يرتبط بعالم غيب وسيع فسيح عميق.

■ {أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيءٍ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأيّ حديثٍ بعدهُ يؤمنون} هم قطعاً لم يفعلوا هذا ولكن لو أنّهم سلكوا في الطريق الصحيح واستجابوا للمنطق ولنداء الفطرة في بواطن ضمائرهم، لو أنّهم استجابوا لكلّ تلك المُحفّزات ونظروا فيما استطاعوا أن يصلوا إليه من حقيقة الخلق، نظروا في ملكوت السماوات والأرض (الملكوت نحن لا نستطيع أن نُدركه بحواسنا، ملكوت السماوات والأرض حقيقة ما وراء الحسّ.. وهي أعظم بكثير ممّا نتحسّسه بحواسنّا)

● {وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم} ألا يتساءلون: نحنُ إذا متنا إلى أين نذهب؟ ألا يُمكن أن يكون محمّدٌ صادق فيما يقول؟ فبأيّ حديث بعد حديث محمّد يُؤمنون؟ حديث محمّد هو بيانه الذي هو بيانٌ للقرآن.. فالقرآن قرآن محمّد والبيان بيان محمّد "صلّى الله عليه وآله" لو فكّروا في شأن صاحبهم وما يقول لعرفوا أنّ محمّداً نذير مبين.

هل يملك أحداً صكّاً أنّه لا يموت؟ فإذا مات إلى أين يذهب؟ هل يملكُ ضماناً أنّ كلام محمّد ليس صحيحاً؟

■ {من يُضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طُغيانهم يَعمهون} هؤلاء أضلّهم الله بحسب ما فعلوا وبحسب ما زرعوا وبحسب ما حصدوا، لأنّ قوانين الله لا تختلف ولا تتخلّف. {العمه} هو الضلال والتيه بنحوٍ أقسى وأشدّ وأقوى من العمى.

وقوله: {يذرهم في طُغيانهم يَعمهون} بحسب كلمات أهل البيت يكلهم الله إلى أنفسهم، والويل للإنسان إذا أوكله الله إلى نفسه طرفة عين فإنّه سيعبثُ بنفسه عبثاً عظيماً.. وأشدّ عقوبة من إمام زماننا إذا أوكل أمورنا إلينا.. فهذا هو التيه المُحقق والنهاية المُظلمة المؤكّدة!

■ {يسألونك عن الساعة أيّان مُرساها - متى وقتها - قل إنّما علمها عند ربّي لا يُجلّيها - لا يُبيّنها - لوقتها إلّا هو ثقُلتْ - عظمتْ - في السماوات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة - فجأة - يسألونك كأنّك حفي - عالم بها وخبير - عنها قل إنّما علمها عند الله ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون}. الساعة في الكتاب الكريم ساعة الظهور الشريف وساحة الحساب في يوم الدين، وهنا في هذه الآية الحديث بحسب السياق التنزيلي هو عن يوم القيامة.

الخلاصة الظاهرة في الآية هي: أنّ رسول الله لا يعلم بالساعة.. فهل هذا صحيح؟!! قطعاً ليس صحيحاً رسول الله علمه علم الله تعالى.

■ قوله {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ما شاء الله ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسّني السُوء - الفقر، المرض- إنْ أنا إلّا نذيرٌ وبشير لقوم يؤمنون}

كُلّ شيء بيده سُبحانه وتعالى، وما عند محمّد هو من الله.. {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً} هذا اللّسان هو لسان حالنا وحال بقيّة الخلائق، فالقرآن نزل بهذا اللّسان: (إيّاك أعني واسمعي يا جارة).. هذه قاعدة عامّة إذا أردنا أن نُطبّقها هنا فالألفاظ صادرة من رسول الله ولكنّ المضامين هي مضامينا، فنحنُ الذين نقول: لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً، ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير.. أي لذهبتُ أبحث عن مواطن الخير وما فيه المنفعة لي - باعتبار أنّي أعرف الغيب - وما سعيت في الطريق الذي يُؤدّي بي إلى المرض، والفقر والسوء.

● {إنْ أنا إلّا نذيرٌ وبشير لقوم يؤمنون} هو استمرار لنفس لسان التنزيل، لمنطق: "إيّاك أعني واسمعي يا جارة".. هذا معنى الآية بشكل عام، أمّا بالنحو الخاص فهاتان الآيتان لن يتّضح معناهما من دون حديث أهل البيت.. جاء في تفسير القمّي في معنى هذه الآية:

(أنّ قريشاً بعثتْ العاص بن وائل السهمي، والنضر بن حارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط إلى نجران ليتعلّموا من علماء اليهود مسائل ويسألوا بها رسول الله، وكان فيها: سلوا محمّداً متى تقوم الساعة؟ فإنّ ادّعى علم ذلك فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لم يُطلع الله عليه ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلا. فلمّا سألوا رسول الله متى تقوم الساعة؟ أنزلَ الله تعالى: {يسألونك عن الساعة أيّان مرسيها قل إنّما علمها عند ربّي لا يُجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلتْ في السموات والأرض لا تأتيكم إلّا بغتة يسألونك كأنّك حفيٌ عنها}). فهؤلاء القُريشيّون ذهبوا إلى عُلماء اليهود والنصارى يُريدون أسئلة مُحرجة للنبي، فالنبي أجابهم مثلما أخبرهم علماء أهل الكتاب لأجل إقامة الحجّة على هؤلاء وعلى أولئك (فالقرآن نزل ليُكلّم الناس على قدر عقولهم). لأنّ الناس هم يُؤلّهون الحجارة وكذلك النصارى ألّهوا نبيّهم، فالنبيّ يُؤكّد الوجهة البشريّة في سيرته لئلا يضلّ الناس ويُؤلّهون محمدّاً صلّى الله عليه وآله وبالتالي تنهدم عقيدة التوحيد التي جاء من أجلها. أمّا علماء الشيعة فقد فهموا هذه الآيات وفسّروها كما فسّرها أعداء أهل البيت!

■ {هو الذي خلقكم من نفس واحدة - أبونا آدم - وجعل منها زوجها - جعل من نوعها أمّنا حوّاء - ليسكن إليها - ليستأنس بها ومعها - فلمّا تغشّاها - قاربها - حملتْ حملاً خفيفاً فمرّت به فلمّا أثقلتْ - قربت الولادة - دعوا الله ربّهما لئن آتيتنا صالحاً - ذريّة صالحة - لنكوننّ من الشاكرين}

■ {فلمّا آتاهما صالحاً جعلا لهُ شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عمّا يشركون} المراد من الصلاح هنا: كمال الخلقة، لا عيب في أولادهما. {جعلا لهُ شركاء} الضمير هنا لا يعود على أبينا آدم وأمّنا حوّاء، وإنّما الحملُ الصالح خلقاً وتكويناً (من الذكور والإناث) هما بعد ذلك جعلوا لله شُركاء.. وهذا مصداق آخر واضح جدّاً من أنّ القرآن لا نستطيع أن نفهمه أبداً من دون حديث العترة.. لأنّه ليس من المنطقي أنّ نتصوّر في أبينا آدم وأُمّنا حوّاء أن يكونا مُشركين! فالشرك انتشر في أولاد أبينا آدم، وهذه حقيقة على أرض الواقع

■ {أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهُم يخلقون} هم أساساً مخلوقون، ويأتون بمخلوق لا يخلق شيئاً ويجعلونه شريكاً للخالق، وهؤلاء المعبودات لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون!

■ {ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون} هذهِ المنظومات العقائدية التي نشأت (هناك مَن يعبد الأموات من أسلافه، وهناك من يعبد الأشجار، الأحجار..) ويعتقد أنّ هذه المعبودات التي هو اخترعها بمُساعدة الشيطان هي التي تُؤثّر في هذا الوجود!! والحال أنّها محدودة صامتة لا تستطيع أن تنفع نفسها أو أن تضرّ نفسها.
ولكن هذه العقول الفارغة السفيهة التي يحملها الناس هي التي عبدت ذلك!

■ {وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتّبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون} هؤلاء لا يملكون عقولاً سليمة.. والهدى عنوانٌ لعليّ ومظاهره، ولعليّ مظهر في كلّ طبقة من طبقات الوجود وفي كلّ أمّة من الأُمم السابقة.
• {لا يتّبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون} هؤلاء عقولهم مقفلة، أُقفلت بأقفال شيطانية.

■ {إنْ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إنْ كنتم صادقين} هذا خطاب لأولئك الذين لا ينفع الكلام معهم.
{عبادٌ أمثالكم} هذا العنوان ينطبق على الذين يعبدون البشر، ولكن كل شيء هو عبد لله (حتّى الأشجار والأحجار..) كل الأشياء خاضعة ذليلة مملوكة مُسبّحة لله تعالى.

■ {ألهم أرجلٌ يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها - من البطش الفعل الشديد لليد - أم لهم أعينٌ يُبصرون بها أم لهم آذانٌ يسمعون بها قلْ ادعوا شركاءكم ثمّ كيدونِ فلا تُنظرون - لا تتمهّلوا وهو من أقوى التحدّيات لهم -}. هذه الأصنام التي تعبدونها وهذه الآلة المصنوعة التي تتوجّهون إليها هل يستطيعون الحركة؟!
• {قلْ ادعوا شركاءكم ثمّ كيدونِ} اجمعوا كلّ قُدراتكم الشيطانية لأجل أن تُصارعوا بآلهتكم إلهي.. آلهتكم لا تستطيع أن تنفع نفسها أو أن تضرّ نفسها..فضلاً عن أنّها لا تستطيع أن تنفعكم أو تضرّكم.
• {فلا تُنظرون} لا تتمهّلوا، وهذا تحدي الحقّ، الحقّ يتحدّى والحق له جبروت وله سُلطان وله قوّة ومنطق لا يُقاوم.. الحقّ منطقه منطق العقل، والعقول السليمة والمُنصفة لا تستطيع أن تُواجه منطق الحقّ.

■ {إنّ وليّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين} أنا أعتمد على هذه الجهة.. وأمّا سبب قول النبي: {الذي نزّل الكتاب} فهو يُريد أن يقول لهم إنّني أتحدّث عن علم وهذا العلم جاء من الجهة الأعلم، وأنتم تتحدّثون عن جهل وجهالة وسفاهة.

■ {وإنْ تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون} يعبدون عجولاً بشرية، حجرية.. والهدى: عليٌ.

■ {خُذْ العفو - اعمل بالتسهيل - وأمر بالعرف - بولاية علي - وأعرض عن الجاهلين} العفو: هو أوسط الأمور (بحسب ما جاء في كلمات العترة).. وخيرُ الأمور أوسطها وهو الأسهل للناس. لذلك أحكام الدين بُنيتْ على التسهيل وليس التعقيد.. التعقيد والاحتياطات الزائدة في الدين التي لا محلّ لها من الاعراب في فقه العترة هذه التعقيدات هي ذوق حنبلي.
عند علمائنا (العرف) هو الجاري بين الناس ولا بأس في ذلك.. ولكن المعنى الحقيقي للعُرف في كلمات آل محمّد هو ولاية عليّ.

■ {وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغٌ - أي وسوسة - فاستعذْ بالله إنّه سميع عليم}. واللّجوء إلى الله يكون باللّجوء إلى إمام زماننا كما مرّ في حديث الإمام الرضا (إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله..) ولاية عليّ بن أبي طالب حصن منيع يحول فيما بيننا وبين جهنّم.

■ {إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مُبصرون} أصحاب التقوى هم الذين يصبرون ويُصابرون ويُرابطون.. المعنى الدقيق للتقوى: ولاية عليّ فهي التي تقينا من جهنّم.. صلاتنا وصيامنا لها قيمة إذا كُنّا قد تدّرعنا بولاية عليّ.
• {طائف من الشيطان} أي وسوسة الشيطان، غرور الشيطان، حبائله، نفثُ الشيطان، نفخه.. وسائر أساليبه في المكيدة.

• {تذكّروا} روايات العترة تقول من أصعب الأشياء ذكر الله على كلّ حال، ومعنى ذكر الله على كلّ حال في ثقافة العترة أي إذا ما عرضتْ المعصية للإنسان تذكّر الإنسان ربّه وارتدع.. وأفضل حالٍ يُذكر الله فيه حين يُوسوس لنا الشيطان.. حينما نواجه وسوسة الشيطان نقف أمام هذه الوسوسة.. وهذا يحتاج إلى مُجاهدة وإلى سعي وإلى تفعيل كلّ الطاقات.

■ {وإخوانهم - من الجنّ - يمدّونهم في الغي ثمّ لا يقصرون}

• {وإخوانهم} إخواننا في الدين، في العبادة، في الخلقة، في الجنّة والنار {وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون} هنا تتكوّن الأخوّة بين الجنّ والإنس.. هؤلاء الجن أعوان إبليس يستعين بهم فيمدّوننا في الغيّ، شياطين توسوس لنا.. ومجموعة أخرى من الجنّ من جند إبليس هؤلاء يتواترون علينا لتثبيت ذلك الوسواس.

• {لا يقصرون} أي يُواظبون على عملهم.. وأهل الشرّ أكثر حرصاً على عملهم من أهل الخير!

■ {وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها - تختارها لنا بحسب ما نريد - قل إنّما أتّبعُ ما يوحى إليّ من ربّي هذا بصائر - أدلّة وبراهين وحُجج - من ربّكم وهُدىً ورحمة لقوم يؤمنون} الحديث عن الناس الذين كان نبيّنا يعيش فيما بينهم.. هذا الكلام صدر من قريش أيّام كان النبي في مكّة، وصدر من اليهود أيّام كان النبي في المدينة، وصدر من المُنافقين، وحتّى من نفس الصحابة، فهذه الآية يُمكن أن تصدق على حالات كثيرة واجهت رسول الله. • {وإذا لم تأتهم بآية..} هم يُريدون آية منك في كل قضية يطيب مزاجهم أن تكون فيها آية

• {قل إنّما أتّبعُ ما يوحى إليّ من ربّي} النبي كان يستعمل هذا الأسلوب في التعبير يُريد أن يُبيّن لهم أنّ القرآن من الله وليس منه، لأجل أن يربط الأمّة بهذه المنظومة العقائدية فهو في مرحلة التنزيل.. أمّا في مرحلة التأويل فالكلام يختلف.

هذا كلام الله يتناول أهمّ الأمور وأعلاها شأناً، فلماذا أنتم تبحثون عن تفاهات الأمور؟! متى ما آمنتم ستعرفون قيمة القرآن، وقيمة القرآن قيمة إيمانية، وهذه القيمة أعلى من قيمة العلم والبلاغة والأدب، الإيمان أعلى رُتبة من العلم والعلم ينطوي في أكناف الإيمان

■ {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلّكم تُرحمون} استماع وانصات.. الاستماع هو أنّ الإنسان يتوجّه بكلّ قوّته الإدراكية كي يُحيط بإدراكه بالذي يستمع إليه..أمّا الإنصات هو استماع عميق، هو تسليط الضوء بالكامل على الذي استمعنا إليه، وهذا ما لا نفعله! فالقرآن يُقرأ في مجالسنا فلا نستمع ولا نُنصت له. والقرآن يطلب منّا الاستماع والانصات له لأنّه لا يُريد منّا أن نتعامل معه على أنّه ألفاظ وأصوات، وإدغام ومدّ وتجويد.. القرآن يُريد منّا أن نتعامل معه على أنّه حقائق، والحقائق تُدرك في مثل شأن القرآن. فنحن نحتاج إلى استماع وانصات والاستماع والانصات لا يُمكن أن يكون إلّا في جوّ من الاحترام والتوقير للقرآن.

• {لعلّكم تُرحمون} من الجهة الفقهية والفتوائية المُراد من الانصات والاستماع للقرآن هو في صلاة الجماعة إذا قُرئ فيها القرآن في الصلوات الجهرية.

فإنّ ذلك قد يكون سبباً لتفتّح أبواب الرحمة في وجوهكم، والرحمة في أجواء القرآن هي أن تتفتّح بصائرنا.

■ {واذكرْ ربّك في نفسك تضرّعاً - خضوعاً وخشوعاً - وخيفة - خشية - ودُون الجهر من القول - بشكلٍ خفي في نفسك - بالغدوّ والآصال ولا تكنْ من الغافلين}. هناك لونان من الذكر: ذكر خفي، وذكر جهري، ولكن دون الجهر من القول الذي اعتاده الإنسان حين يجهر بقوله.

{الغدو} الفجر، {والآصال} ربّما أُطلقت على نهايات اليوم، وإن كان الآصال في اللّغة حين تصفّر الشمس، وتميل إلى الغروب.. والمراد: اذكروا الله في كلّ أوقاتكم وبكلّ الأشكال، بنحو التضرّع والتذلّل أو بنحو الخشية.

■ {إنّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته ويُسبّحونه ولهُ يسجدون}

سورة الأعراف من أوّلها إلى آخرها كانت تتكلّم عن خطّين: خط الاستكبار وخط الولاء لمحمّد وآل محمّد وهو خطّ الأنبياء

• {الذين عند ربّك} هناك مجموعة عند ربّك وهم محمّد وآل محمد فهم حتّى في الدُنيا هم عند ربّك (لا تسبّوا علياً فإنّه ممسوسٌ في ذات الله)، وليس المراد من الذين عند ربّك (الملائكة) كما يقول علماؤنا ومراجعنا!

● رسول الله: (أنا عند ربّي يُطعمني ويسقيني) وهذا الكلام قاله رسول الله حين حرّم على الأمّة صيام الوصال.. وفي سورة الدهر نقرأ {وسقاهم ربّهم شراباً طهورا} هذا لِمحمّد وآل محمّد وليس لغيرهم.. نعم نحن يسقينا ربّنا في الولاية من حوض الكوثر، عليٌ يسقينا، فهو الساقي على حوض الكوثر. ● {ويُسبّحونه ولهُ يسجدون} كيف يُسبّحون وكيف يسجدون لا أدري، هذه شؤون آل محمّد (إنّ لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا ملك مُقرّب ولا نبيّ مُرسل).

● في سورة الأنبياء في الآية 19، 20 {وله مَن في السماوات والأرض ومَن عنده} الإمام يقول: "ومن عنده": نحن، و(من) هنا: للعاقل مَن في الأدب العربي هي للعقلاء، للكائنات ذات العقول العالية.

مربط الحقائق هنا.. عند هذا العنوان {إنّ الذين عند ربّك} هنا البداية وهنا النهاية كما في حديث صادق العترة: (يا أبا بصير هل عرفت إمامك؟ قال نعم: قبل أن أخرج من الكوفة. قال الإمام: حسبك إذاً). حسبي هنا، ونهاية المطاف هنا، ورحم الله من عرف من أين وإلى أين.
لنكن عند هؤلاء الذين هم عند الله، لنكن في فناء عُبودّيتهم، لنكن صادقين في خطابنا للحُسين (عبدك وابنُ عبد وابنُ أمتك المقرّ بالرّق)